هدى الثقلين

تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة الثانية/ المجلد الثاني/ العدد (٤)

شهر جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ - كانون الأول ٢٠٢٥م

جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ
دِيوَانُ الوَقْفِ الشِّيعِيِّ
الأَمَانَةُ العَامَّةُ لِلْعَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِتَفْسِيرِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ
(صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم) لِلْقُرْآنِ الكَرِيـــــم
تَصْدُرُ عَنْ دَارِ القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَـــةِ
مُجَازَةٌ مِن وِزَارَةِ التَّعْلِيمِ العَالِيّ وَالبَحْثِ العِلْمِيِّ
مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيَّةِ

التَّرْقِيمُ الدَّوْلِي: ISSN:3005-415x

العِنْوَان: العِرَاق – كَرْبَلَاء المُقَدَّسَة – دَار القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي العَتَبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ المُقَدَّسَةِ

رَقْمُ الإِيدَاعِ فِي دَارِ الكُتُبِ والوَثَائِقِ العِرَاقِيَّةِ ٢٧١٥ لِسَنَةِ ٢٠٢٤م

لِلمَعْلُومَاتِ والاتِّصَال: ٠٧٧٣٥٣٠٠٨٣٥

البَرِيدُ الإِلِكتْرُونِي: hudaalalthaqalein@gmail.com

تَسْتَقْبِلُ مَجَلَّةُ (هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ) البُحُوثَ الأَكَادِيمِيَّةَ الرَّصِينَةَ غَيرَ المَنْشُورَةِ، بِاللُّغَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ والإِنْكِلِيزِيَّةِ.

بطاقة الفهرسة

BP130 .A82 2024 VOL. 1 NO. 0

العتبة الحسينيَّة المقدَّسة (كربلاء، العراق) دار القرآن الكريم.

هَــدِي الثقلين: مجلَّة علميَّة نصف سنويَّة محكَّمة تُعنى بتفسير النبي وأهل بيته (صلوات اللَّه عليهم) للقرآن الكريم/ تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة – كربلاء، العراق: العتبة الحسينيَّة المقدَّسة، دار القرآن الكريم، ٢٠٢٥م/ ١٤٤٧ للهجرة.

مجلَّد: ٢٤سم – نِصف سَنويَّة، السَّنةُ الثَّانية، المُجَلَّد الثَّاني، العَدَد (٤)، شَهر جُمَادَى الآخِرَة ١٤٤٧هـ – كَانُون الأوَّل ٢٠٢٥م.

(العتبة الحسينيَّة المقدَّسة؛ ١٣٥٧)، (دار القرآن الكريم).

يَتَضمَّن إرجاعات ببليوجرافية.

تصدر المجلة باللغتينِ العربيَّة والإنجليزيَّة.

١ .القرآن– تفسير الشيعة الإماميَّة– دوريات.

٢ .القرآن تفاسير مأثورة (الشيعة الإماميَّة)– دوريات.أ.العنوان.

تمَّت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكريَّة والثقافيَّة في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة.

قصيدة تؤرخ فيها مجلة هدي الثقلين وهي مجلة علمية
نصف سنوية محكمة تعنى بتفسير النبي وأهل بيته
صلوات الله عليهم للقرآن الكريم، صدرت عن دار القرآن
الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

سفر جميل وربت مثل السنا ... عند الحسين في الطفوف صدرت
في طيها كل تفاسير الهنا ... وهي بقول الآل حقا هدرت
آراؤها مزبورة فيها الغنى ... سلسالها العلم ومنه انتشرت
ميدانها الآي ومنها قد دنا ... واستبقت باب الهدى إذ شمرت
من دار قرآن كريم يحوينا ... بالخير والقول الجميل قد سرت
والليل ولى بل أصيب بالفنا ... أستاذه قد مزقت وانثرت
يا حسنها كل إليها أذعنا ... حين إليها كل عين نظرت
ها قد أناخت ركبها الغالي هنا ... فازدهرت أبوابها بل أثمرت
فاليوم عند السبط إذا أقصى المنى ... أرخ: هدى الثقلين صدرت

علي الصفار الكربلائي

١٤٤٤هـ

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: ١٨٤٣/٤٠٧
Date: ٢٠٢٤/٩/١٦

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة هدى الثقلين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم ذي الرقم ح٢٥١٤٩/٣٩ بتاريخ ٢٠٢٤/٤/٢٧ بشأن استحداث واعتماد مجلتكم لأغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وبعد استكمال الملاحظات الخاصة بضوابط الاستحداث بموجب كتابكم المرقم ح٤٧٧١٢/٣٩ في ٢٠٢٤/٨/٢٧، حصلت الموافقة بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى واعتباراً من المجلد الاول - العدد الاول - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٤ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في اعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط الاستحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

ا.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٤/ ٩ / ١٦

نسخة منه الى:
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ اشارة الى موافقة سيادته بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت م٦٧٩٢/٤ في ٢٠٢٤/٩/٨/ للتفضل بالاطلاع ...مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادره

مهند ابراهيم
١٠/ أيلول

رئيس التحرير

أ. د. هاشم جعفر حسين الموسوي

اللغة العربيَّة – اللغة والنحو

جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/ العراق

مدير التحرير

أ. م. د. عمَّار حسن عبد الزهرة/ اللغة العربيَّة – لسانيات

وزارة التربية/ مديريَّة تربية كربلاء/ العراق

مدقق النصوص العربية

د. عماد طالب موسى

مدقق النصوص الانكليزية

م.م إباء الدين حسام عباس

العلاقات والتنسيق والإعلام

الأستاذ علي فضيلة خضير الشمري

هيأة التحرير

م. د. الشيخ خير الدِّين علي الهادي

رئيس دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة/ العراق

اللغة العربيَّة – لسانيات

أ. د. حميد عبد جواد النَّجدي

رئيس جامعة أهل البيت عليهم السلام _ العراق.

أ.د. مكي محي عيدان الكلابي

اللغة العربية _ دلالة

جامعة كربلاء/ كلية التربية/ العراق

أ. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي

الفقة وأصوله

جامعة كربلاء/ كليَّة العلوم الإسلاميَّة/ العراق

أ. د. سامي ماضي إبراهيم الربيعي

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. لطيفة عبد الرسول عبد علي الضايف

اللغة العربيَّة _ نحو ودلالة

الجامعة المستنصريَّة/ العراق

أ. د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي
اللغة العربيَّة وآدابها _ أدب إسلامي
جامعة الكوفة – كليَّة التربيَّة الأساسيَّة/ العراق

أ. د. عبد الحميد مدكور
الأمين العام لمجمع اللغة العربيَّة في القاهرة
الفلسفة الإسلاميَّة/ جامعة القاهرة/ مصر

أ. د. عيسى علي عاكوب
عضو مجمع اللغة العربية/ دمشق- سوريا

أ. د. غازي مهدي جاسم الشمري
الفكر الإسلامي وتأريخ الحضارة العربية
جامعة وهران/ الجزائر

أ. د. محمد رضا ستود هنيا
علوم القران والحديث
كلية الإلهيات ومعارف أهل البيت عليهم السلام جامعة
أصفهان/ إيران

أ. م. د. محمَّد عبد الحسن كاطع
تاريخ الحضارة الإسلاميَّة
جامعة المصطفى العالميَّة/ فرع العراق

أ. م. د. سحر ناجي فاضل المشهدي
دلالة ونحو
الكليَّة التربويَّة المفتوحة في النجف الأشرف/ العراق

م. د. حيدر فاضل عباس العزاوي
اللغة العربيَّة_ لسانيات
وزارة التربية/ مديريَّة تربية كربلاء

التصميم والإخراج الفني
الحسن ميثم عزيز

قواعد النشر في المجلَّة:

تستقبل هديُ الثَّقلينِ البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:

١. يشترط في البحث أن يكون مكتوبًا على وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا .

٢. أن يكون البحث منسجمًا مع المجال المعرفي الذي ترعاه المجلة وتوجهها في نشر الأبحاث التي تختصُّ بتفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم .

٣. أن لا يكون البحث منشورًا في مجلَّة، أو مقدّمًا إلى أيَّة وسيلة نشر أخرى، أو مستلًّا من كتابٍ أو رسالةٍ جامعيَّة، أو محمَّلًا على الشبكة العنكبوتيَّة.

٤. أن يكون البحث مبتكرًا في موضوعه، يُعالج قضايا تفسيريَّة مُهِمَّة تتلاءم مع المعطيات المعاصرة للحاجات المعرفيَّة.

٥. يقدَّم البحث مطبوعًا على ورق A4، وبنسخةٍ إلكترونيَّة على قرص مدمج(CD)، أو يُرسل على البريد الإلكتروني، على أن لا يتجاوز ما هو متعارف عليه علميًّا بحدود (٥٠٠٠ – ١٠٠٠٠) كلمة، وبخط Simplified Arabic مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل.

٦. أن يحتوي البحث على ملخَّص باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة، مع مقدِّمة ومباحث ونتائج، وفهرس مفصَّل بالمصادر.

٧. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على اسم الباحث/ الباحثين، وعنوانه/ عناوينهم وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في مَتن البحث أو أي إشارة إلى ذلك .

٨. يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة خاصَّة بها عن قائمة المراجع والمصادر العربيَّة، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلَّات.

٩. تُطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة ويُشار في أسفل الشكل إلى مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

١٠. إرفاق نسخة من السيرة العلميَّة إذا كان الباحث ينشر في المجلَّة للمرَّة الأولى، وعليه أن يشير إلى اسم أيَّة جهة علميَّة، أو غير علميَّة قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١١. تخضع البحوث المقدَّمة للنشر لتدقيق نسب الانتحال في ضوء أحد البرامج المعتمدة، والأنظمة المقرَّة من لدن وزارة التعليم العراقيَّة.

١٢. تحتفظ هيأة التحرير بحقِّ حجب نشر البحث الذي لا ينسجم مع سياسة المجلَّة في نشر تفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم حصرًا، أو ما لا يتوافق مع منهج البحث العلميّ أو الموضوعيّ، أو ما فيه مسٌّ لجوهر العقائد الإسلاميَّة ورموزها الفكريَّة والدينيَّة .

١٣. تعبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيَّة صرفة.

١٤. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيَّتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أُقبِلَت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآليَّة الآتية:

أ- يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر.

ب- ثمَّ يُشعر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها بعد إخضاعها إلى تقييم سري من ذوي الاختصاص.

جـ- البحوث التي يرى المقوِّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة لكي يعملوا على التعديل في ضوئها، ثمَّ بعد ذلك تُرسل للنشر.

د- البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ- يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

١٥. ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلّة:

hudaalalthaqalein@gmail.com

أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقر المجلة على العنوان الآتي:

كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية – دار القرآن الكريم

سياسة النشر

تستقبل مجلَّة (هدي الثقلين) مشاركاتكم من الأبحاث الرصينة، والدِّراسات المبتكرة والبحوث العلميَّة الناتجة عن الندوات والمؤتمرات باللغتين العربيَّة والإنكليزيَّة؛ على وفق سياسة النشر الخاصَّة بها والمتمثِّلة بالآتي:

١- مجلَّة (هدي الثقلين) مجلَّة دورية مُحكَّمَة نصف سنوية.

٢- المجلَّة مختصَّة بنشر الأبحاث المختصَّة بتفسير النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمَّة أهل البيت عليهم السلام.

٣- تحتفظ المجلَّة بحقوق النشر والطبع كافَّة، وآراء المؤلِّفين الواردة جميعًا في البحث أو المادة العلميَّة تعبِّر عن وجهة نظرهم، ولا تُعَدُّ المجلَّة مسؤولة عنها بالضرورة؛ استنادًا لمبدأ استقلاليَّة الرأي.

٤- المجلَّة غير ملزمة بردِّ أصول البحوث سواء نشرت أم لم تنشر، وفي حال سحب البحث من لدن الباحث فعليه الالتزام بردِّ تكاليف التحكيم وتكاليف برنامج الانتحال.

٥- أولويَّة نشر البحوث بحسب أسبقيَّة الحصول على قبول النشر، ويستثنى من ذلك البحوث ذات السبق العلميّ والمادَّة المبتكرة بعد ترشيح من هيأة التحرير.

٦- يشترط بالمادة العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة، أن لا تكون قد سبق نشرها في مجلَّة أو دوريَّة أو مؤتمر علميّ، بتعهد يقدِّمه الباحث، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة وتكاليف التحكيم وبرنامج الاستلال كافَّة.

٧- يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه أو مادَّته العلميَّة إلى أيِّ جهةٍ أخرى لغرض النشر، حتَّى يصله رد المجلَّة بصلاحيَّة بحثه أو مادَّته العلميَّة للنشر من عدمه بمدَّة لا تتجاوز ثلاثين يومًا من تاريخ استلام المجلَّة للبحث أو المادَّة العلميَّة، وبخلافه تحتفظ المجلَّة بحقوقها القانونيَّة والماليَّة كافَّة.

٨- يتعيَّن على الباحث أن يلتزم بشروط النشر المتاح على موقع المجلَّة الإلكتروني الرسمي، ويتعهد بأنَّه قد اطَّلع عليها.

٩- يجب على الباحث مراعاة الأمانة العلميَّة في البحث العلميّ والدراسة الأكاديميَّة، وفي مقدِّمتها أخلاقيَّات البحث العلميِّ وبنود لجنة أخلاقيات النشر (Committee On Publication Ethics) مثال ذلك، توثيق المراجع والمصادر والنصوص القانونيَّة والعلميَّة، ومراعاة الموضوعيَّة والمنهجيَّة في الكتابة، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والإداريَّة والماليَّة الكاملة عن أيِّ انتهاك أو تجاوز لهذه الأخلاقيَّات طبقًا للقوانين والتعليمات الوطنيَّة أو الدَّوليَّة، ومنها قانون حماية المؤلِّف رقم (٣) لسنة ١٩٧١.

١٠- تخضع جميع البحوث العلميَّة المراد نشرها بالمجلَّة لتدقيق نسبة الانتحال (Plagiarism) ضمانًا لعدم نشر البحوث مسروقة النَّصِّ جزئيًّا أو كليًّا، وبخلافه يتحمَّل الباحث المسؤوليَّة القانونيَّة والماليَّة والإداريَّة الكاملة.

١١- تخضع المادَّة العلميَّة التي تنشرها المجلَّة للتحكيم الشفاف والمراجعة العلميَّة المتخصِّصة (Peer-reviewed process) فضلًا عن التدقيق اللغوي (للغة العربية واللغة الإنكليزية)، ويكون للمجلَّة صلاحيَّة الموافقة على النشر فيها من عدمه؛ استنادًا إلى الآراء الأوليَّة لهيأة تحرير المجلَّة أو آراء المحكِّمين المتخصِّصين.

١٢- يقدِّم الباحث مع البحث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها موجزًا بالسيرة العلميَّة للباحث (نبذة تعريفية) مع بريده الإلكتروني الرسمي الذي ينتهي بامتداد (edu.iq) بالنسبة للسادة الباحثين العراقيين أو البريد الشخصي للباحث مع رقم الهاتف.

١٣- يُمنح كلُّ باحثٍ نسخة ورقيَّة من العدد المنشور فيه بحثه، ولا تتحمَّل المجلَّة أجور إرسال النسخة الورقيَّة للباحث.

١٤- تعمل المجلَّة على وفق آليَّة النشر المفتوح وسياسته (Open Access).

١٥- تلتزم المجلَّة بمنح الباحث قبول النشر حين استكمال جميع المتطلَّبات الخاصَّة بالنشر من قبيل استكمال ملاحظات المحكِّمين والتعهد وغير ذلك.

١٦- تستقبل المجلَّة البحوث أو المادَّة العلميَّة المراد نشرها بالطرق الإلكترونيَّة، ووسائل التواصل الخاصَّة برقم المجلَّة مثل الواتساب والتليكرام المتاحين على الموقع الرسمي للمجلَّة، أو يسلِّمها الباحث بصورةٍ شخصيَّة .

نشاط المجلَّة

عمل دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب اللَّه تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع العمل على دراسة تفسير النبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وقد بدأت الدَّار بهذا العمل منذ سنين عدة، فكان نتاجها مشاريع كثيرة أهمُّها إنتاج موسوعة أهل البيت عليهم السلام القرآنيَّة، وقد بلغت ستِّين مجلَّدًا، وهي بمجملها وتفاصيلها لم يُسلَّط عليها الضوء ولم تعمل الأقلام فيها بحثًا، فكان النتاج بكرًا بالهيأة التي انتهت الدَّار إلى صياغتها، وحان الآن أن تُقَنَّن تلك الجهود بمساراتٍ علميَّة فتدخل تلك الثروة المعرفيَّة إلى المؤسسات الأكاديميَّة والمراكز العلميَّة؛ لتأخذ حيِّزها على وفق الوسائل المعترفِ بها أكاديميًّا والمسارات المتَّفق عليها منهجيًّا، ومن هنا شرعت الدار ببناء وسائل توازي الحاجات المعرفيَّة وتتَّفق مع المعطيات المعاصرة، ومن تلك الوسائل العمل على استحداث مجلَّة (هَدْي الثقلين) وتحكيمها بعد تهيئة المادَّة العلميَّة للباحثين، وصولًا إلى الوعي التَّامِّ بجهوزيَّة البناء المعرفي، للإنطلاق بأوَّل مشروعٍ بكرٍ في العالم الإسلامي، وهو مجلَّة علميَّة محكَّمة تُعنى بتفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام.

لماذا هَدْيُ الثَّقَلَين؟

هذا الاسم مستقى من حديث الثَّقلين الذي اتَّفقت الأمَّة الإسلاميَّة على مَضمونه، وهو قول رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: ((إنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْن: كتابَ اللَّهِ وعِتْرتي))، ومن هنا أُريد لهذه المجلَّة أن تكون مصداقًا عمليًّا لتطبيق وصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله في التَّمسُّك بالقرآن الكريم والعترة الطَّاهرة، الذي يُنجي من الهلاك ويعصمُ من الضَّلال فكانت (هدي الثَّقلين) .

يقول ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) في صدد بيان لفظة: (هَدَيَ) في اللغة إنَّ له أَصْلَين: ((أَحَدُهُمَا التَّقَدُّمُ لِـلْإِرْشَادِ، وَالْآخَرُ بَعْثَةُ لَطَف، فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ))، وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ وما نريده من لفظة (هدي) في الاسم، هو معنى (التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ)، وقد قدَّم الرسول صلى الله عليه وآله الثقلين لإرشاد الأمَّة، وجعلهما العاصمين من الضَّلال: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي))، أمَّا المقصود بالثقلين في هذا الحديث فقد نصَّ اللغويون على بيان ذلك، ومنهم: محمد بن أحمد بن الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) في تهذيبه قال:((فسَّر النبيّ صلى الله عليه وآله الثَّقَلين فجعلهما: كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ وعترته عليهم السلام، وأصل الثَّقَل أنّ العَرَب تَقول لكلِّ شَيْء نَفِيس مَصُون: ثقل))، وبيَّن سبب تسميتهما بالثَّقلين الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) بما نقله في معاني الأخبار بقوله: ((لأنَّ التمسك بهما ثقيل)) وبيَّن أحمد ابن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ) في غريبيه سببًا آخر بقوله: ((إِعْظَامًا لقدرهما وتفخيما لشأنهما))، وتابعه ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) في غريبه، والصَّنعاني (ت:٦٥٠ هـ) في تكملته، وابن منظور (ت: ٧١١هـ) في لسانه، ومرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) في تاجه، أمَّا سبب الإعظام والتفخيم لهما فيفسِّره جمال الدين الكجراتي (ت: ٩٨٦هـ) في مجمعه بقوله: ((إذ يستصلح الدين بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين)) وهذا ما نريده من التسمية بـ (هدي الثَّقلين) أي متابعة إرشادهما وهديهما، ونقل الشريف الرَّضي (ت: ٤٠٦ هـ) في مجازاته تعليلًا آخر بقوله: ((إنَّما سُمِّيا بذلك؛ لأنَّهما العدَّتان اللتان يُعَوَّلُ في الدين عليها، ويقوم أمر العالم بهما)).

لماذا التَّخصُّص بتفسير النَّبيِّ وأهل البيت عليهم السلام؟

جاء التَّخصُّص من الملازمة بين القرآن والعترة التي أسَّسها الرسول صلى الله عليه وآله لحفظ الأمَّة من الضلال، وأبان لها طريق الهداية العاصم من الانحراف بوصيَّةٍ لا نستبعد

الإعجاز في حفظها ورعايتها على نسقٍ اتَّفقت الأمَّة الإسلاميَّة بمختلف مشاربها على روايتها وصحَّتها؛ بل تواتر مضمونها وهي وصيَّة رسول اللَّه ﷺ بالتَّمسكِ بالثقلينِ وأنَّهما العاصمانِ من الضلال ولن يفترقا حتَّى يردا عليه الحوض.

وفي ضوء ما تقدَّم يُستبانُ أنَّ القرآن الكريم والنبيَّ الأكرم ﷺ بمعيَّة أهل بيته عليهم السلام هما الطريقان العاصمانِ من الضَّلالة، ولا يمكن لأحدٍ أن يكون أكثر قربًا لكلام اللَّه تعالى منهم بدليل نصِّ الرسول المتقدِّم، ومن هنا فإنَّهم أساس انطلاق الوعي بالقرآن الكريم وفهم محتواه ومضامينه.

وهم نقطة التقاء المسلمين جميعًا؛ إذ لا خلاف في فضلهم وعلوِّ مقامهم وعلمهم وأخذ الدِّين منهم، ومحبَّتهم وموالاتهم، بدليل احتواء كتب المسلمين على اختلاف انتماءاتهم بأحاديثهم ورواياتهم وسيرهم، وإطباقهم على تبجيلهم وتكريمهم.

فضلًا عمَّا سبق فإنَّ هذا الحقل المعرفي (تفسير النَّبيِّ وأهل بيته) لم يُسلَّط عليه الضوء بشكلٍ يُناسب أهميَّته، وكذا لم تُفرد له مجلَّة علميَّة محكَّمة متخصِّصة في رصده ودراسته.

حدود المجلَّة واهتماماتها:

تتبنَّى مجلَّة (هدي الثَّقلين) دراسة تفسير النَّبيِّ الأكرم وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، ولا تتوقَّف عند حدود مدوَّناتٍ بعينها، وإنَّما تراقب آثارهم أينما وُجدت على نسق المعيار الذي أسَّسوه عليهم السلام، وهو عرض الأخبار الواردة عنهم على القرآن الكريم فما وافقه قُبِل وما لم يوافقه يُردُّ، وعلى أساس هذه الضابطة فإنَّ المجلَّة تستقبل الدِّراسات التي تُعنى بتفسيرهم للقرآن الكريم من دون تحديد المدونات أو تصنيفها؛ لأنَّنا قد راقبنا تفسير النبيِّ وأهل بيته عليهم السلام فوجدناه متفرِّعًا من شمولية القرآن الكريم واتِّساعه؛ ليكون هديًا للإنسان في حياته وآخرته.

الرؤية:

تفسير النَّبي وأهل بيته عليهم السلام ضرورة دينيَّة وحاجة معرفيَّة؛ لتلازمهما الشرعي والمعرفي بوصفهم عِدْل القرآن الكريم.

الرِّسالة:

تسعى المجلَّة إلى دراسة تفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم على وفق المعايير الأكاديمية في المنهج العلميِّ الرَّصين مع الأصول الإسلاميَّة ومبادئها الفكرية، وبما يتوافق مع الحاجات المعرفيَّة المعاصرة؛ وبما يمكن التنبُّؤ به من حاجاتٍ معرفيَّة مستقبليَّة فتهيِّء إجاباتٍ مسبقةً عن أهمِّ تساؤلات المعرفة.

الأهداف:

١. المشاركة الفاعلة في بناء مجتمع المعرفة وتصحيح مساراته بنشر بحوثٍ علميَّةٍ رصينةٍ محكَّمةٍ من لدن خبراء متخصصين.

٢. تلبية حاجات الباحثين في مجال التفسير القرآنيّ على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية كافَّة .

٣. إضافة رصيد علمي متخصص لخدمة الباحثين وإثراء المعرفة في مجال التفسير القرآني.

٤. توثيق الصِّلات المعرفيَّة ومدّ جسور التعاون بين المراكز البحثيَّة والجامعات الأكاديميَّة؛ بغية الارتقاء بالمعرفة التفسيريَّة وإخراجها على نمطٍ يوازي المتطلبات المعاصرة.

٥. بيان رؤية النَّبي وأهل بيته عليهم السلام للخطاب القرآنيّ وأساليب تحليله، وأسس فهمه ومحدِّدات الاجتهاد لمن يتصدَّى لتفسيره.

٦. العمل على إظهار تفسير النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وجعله بوصلةً تنتظم عليه التفاسير الأُخَر؛ بوصفهم عِدْلَ القرآن الكريم بنصِّ الرسول صلى الله عليه وآله.

٧. بيان المعارف القرآنيَّة التي فتق النَّبيِّ وأهل بيته عليهم السلام معادنها، وأهمُّها تأسيسهم لحفظ القرآن وصيانة لغته من اللحن، والعمل على ديمومتها وحفظها من الزوال .

٨. الكشف عن جهود أهل البيت عليهم السلام وأثرهم في مدونات المسلمين وغيرهم ودراستها على وفق رؤيةٍ علميَّةٍ متخصِّصة.

المُحتَوَيات

ص	عُنوَانُ البَحث	اسمُ البَاحِث
٢٧	المَلَامِحُ التَّفْسِيريَّة الرَّضَويَّة في كِتَاب (كَلِمَة الإمام الرِّضَا عليه السلام) لآيَة اللَّه الشَّهيد السَّيد حَسَن الحُسَيني الشِّيرَازي قدس سره	أ.د خليل خلف بشير جامعة البصرة/ كليَّة الآداب
٦٣	المَنْهَجُ الفِقْهِي في تَفْسِير القُرْآنِ عِنْدَ الإمَامِ الجَوَاد عليه السلام	أ. د. أحمد الصفار جامعة مانشستر/ بريطانيا
٩٩	دَلَالَاتُ مَرْوِيَّات أُبَان بن تَغْلُب (ت:١٤١هـ/ ٧٥٨م) في العُلُوم الدِّينِيَّةِ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّة	أ م د:عبَّاس نصيف جاسم كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة/ أقسام بابل
١٤١	أَثَرُ أَمِير المُؤْمِنِينَ عليه السلام في بَيَانِ المُنْطَلَقَاتِ المَعْرِفِيَّةِ لتَفْسِيرِ النَّصِّ القُرْآنِيِّ	م.د سجاد هادي صاحب العنبكي جامعة الكوفة/ كليَّة الفقه
١٧٧	التَّأويلُ القُرْآنيُّ عند الإمَام الهَادِي عليه السلام فِي الزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ الكَبِيرَةِ	م . د. أحمد راضي جبر الشمَّري المديريَّة العامَّة للتربية في بابل

٢٠٥
التَّفسِيرُ المَوضُوعِي عِندَ الإمَامِ عَليّ عليه السلام دِرَاسَةٌ تَأصِيليَّةٌ
م.د ساجد صباح العسكري
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام
فـرع ذي قـــار

٢٣١
المَنظُومَةُ المَعرِفِيَّةُ لَدَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام وَأَثَرُهَا فِي بَيَانِ الإِعْجَازِ العِلْمِي
م.د محسن عبد العظيم آل الشيخ هادي الخاقانيّ
جامعة الكوفة/ كليَّة التربية

٢٧٩
المَنهَجُ التَّفْسِيرِي عِنْدَ آلِ البَيتِ عليهم السلام
د. صالح الطائي
محافظة واسط / متقاعد

٣١١
تَصْنِيفٌ اقْتِرَاحِيٌّ جَدِيدٌ للأَدوَارِ القُرْآنِيَّةِ التَّفسِيرِيَّةِ للإِمَام أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ
د. خالد غفوري الحسنيّ
جامعة المصطفى العالميَّة

٣٤٧
المَرْجِعيَّاتُ الحِجَاجِيَّة لإِثْبَاتِ وِلَايَةِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليه السلام دِرَاسَة فِي ضَوءِ تَحْلِيلِ الخِطَاب
م . د عماد طالب موسى الخزاعي
المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدَّسة

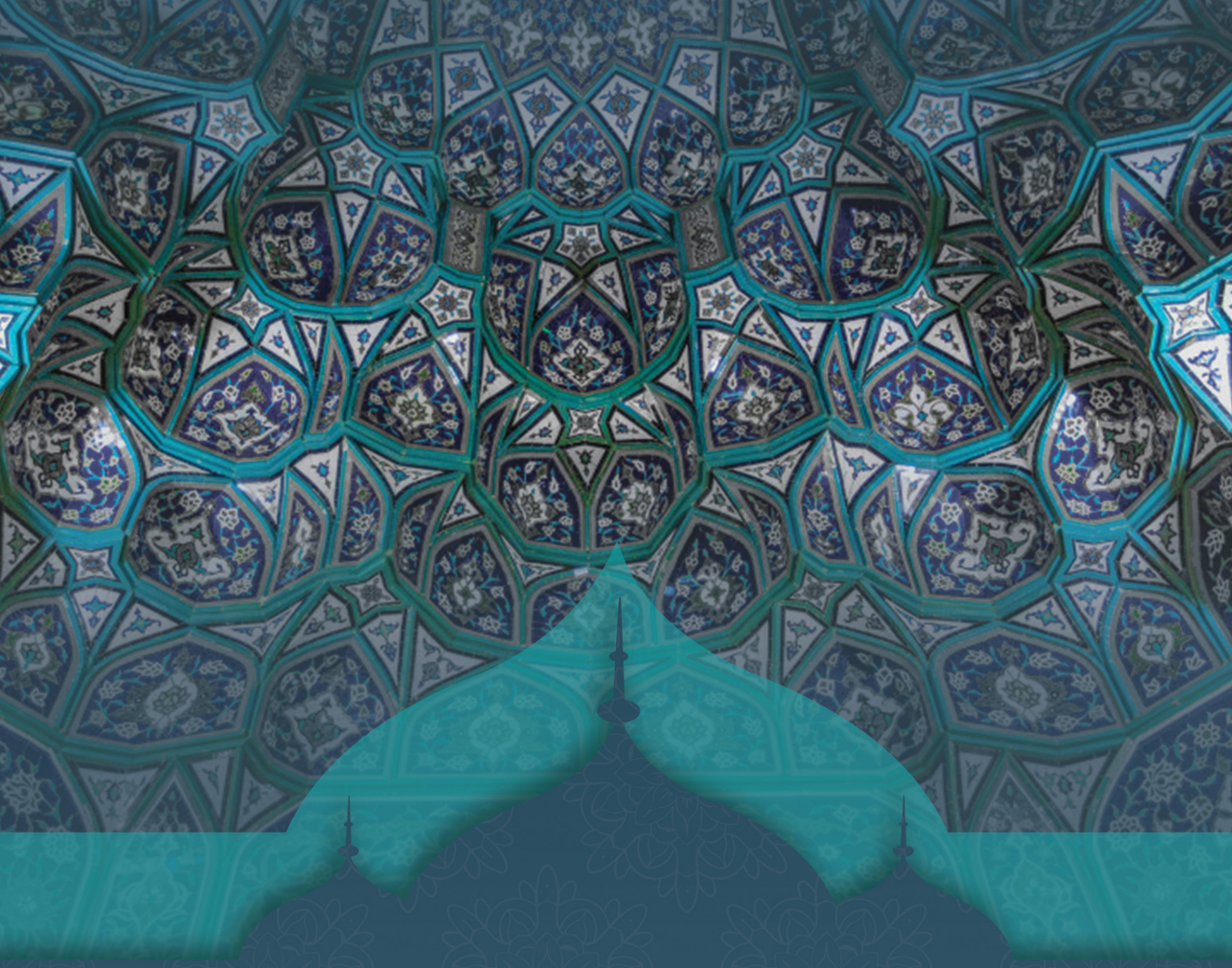

المَنهَجُ التَّفْسِيرِي عِنْدَ آلِ البَيتِ عليهم السلام

د. صَالح الطَّائي

محافظة واسط / متقاعد

The Exegetical Methodology of Ahl Al-Bayt (Peace Be Upon Them)

Dr. Saleh al-Taie

Wasit Governorate / Retired

المُلَخَّصُ:

تُسَلِّط هذه الدِّراسة الضوء على العناية الفريدة التي خصَّ بها النبيُّ الأكرم محمَّد صلى الله عليه وآله تفسير القرآن الكريم؛ إذ تشيرُ الروايات المتواترة إلى أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله لم يترك كتاب اللَّه بلا تفسير وبيان؛ بل فسَّره بنفسه، ثمَّ عهد بتأويله إلى أهل بيته عليهم السلام، وقد أكَّد الإمام عليّ عليه السلام مرارًا أنَّه الأولى بتفسير القرآن من غيره، وأكَّد بقيَّة الأئمَّة من ذريَّته عليهم السلام هذا الامتياز التأويلي الوراثي، مشيرين إلى أنَّ تفسير القرآن لا يؤخذ بالظنون؛ بل عن الراسخين في العلم، الذين أذهب اللَّه عنهم الرَّجسَ وطهَّرهم تطهيرًا. لقد كشفت الدِّراسة بالمقارنة الدقيقة بين مصادر المدرستين أنَّ الصحابة لم يُعرف عنهم الاشتغال المنهجي بتفسيرِ القرآن بشكلٍ حقيقي ومنهجي كما عند آل بيت النبيّ عليهم السلام، الذين كانوا مدرسة دائمة للتأويل، تتوارث العلم كابرًا عن كابرٍ. وهذا يعني أنَّ العناية التفسيريَّة عند أهل البيت عليهم السلام لم تكن اجتهادًا شخصيًّا؛ بل هي امتداد لوحيٍ موجَّهٍ، وتواصلٍ روحيٍّ مباشرٍ مع المعنى الإلهي للنصِّ، وهو ما يميِّز تفسيرهم عن سائر الاجتهادات البشريَّةِ اللاحقة.

الكلماتُ المفتاحيَّة: القرآنُ الكريمُ، المنهجُ التفسيري، آلُ البيت عليهم السلام.

Abstract:

This study highlights the unique care that the Holy Prophet Muhammad (peace be upon him and his family) devoted to the interpretation of the holy Qur'an. Recurrent narrations indicate that the Prophet (peace be upon him and his family) did not leave the Book of God without interpretation and explanation; rather, he interpreted it himself and then entrusted its ta'wil to his Ahl al-Bayt (peace be upon them). Imam 'Ali (peace be upon him) repeatedly emphasized that he is foremost in the interpretation of the Qur'an over others, and the rest of the Imams from his lineage (peace be upon them) confirmed this hereditary exegetical privilege, pointing out that the Qur'anic interpretation is not to be based on conjecture, but by those firm in knowledge, whom God has purified from impurity.

The study revealed, through precise comparison between the sources of the two schools, that the Companions were not known for methodical engagement with Qur'anic interpretation in the true and systematic manner found with the Prophet's Ahl al-Bayt (peace be upon them), who were a continuous school of ta'wil, transmitting knowledge from generation to generation. This means that the exegetical care of Ahl al-Bayt (peace be upon them) was not a personal effort; rather, it is an extension of a divinely guided revelation and a direct spiritual connection with the divine meaning of the text, which distinguishes their interpretation from all subsequent human scholarly efforts.

Keywords: The Holy Qur'an, exegetical methodology, Ahl al-Bayt (peace be upon them).

المقدِّمة

في الحياةِ الدينيَّة والعقليَّة للمسلمين، ومنذ بدايات الطور المدنيّ، احتلَّ تفسيرُ القرآن الكريم مكانةً مركزيَّة، وكان لرسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله الأثر الرئيس في وضعِ الأسسِ والقواعد الأولى لهذا العِلم، بعدما مارسه بنفسهِ صلى الله عليه وآله، ثمَّ أورث ذلك لعليٍّ وآلِ البيت عليهم السلام، وهم الذين ورثوا عنه علمَ الكتاب.

وباتِّفاق الآراء كانَ أهلُ البيت عليهم السلام المرجع الأوَّل في فهم القرآن الكريم وتأويلِه؛ لتلقِّيهم للعلوم الشرعيَّة من طريق رسول اللَّه صلى الله عليه وآله مباشرةً، أو من سلسلةٍ من النَّقلِ الموثوق؛ ولأنَّه صلى الله عليه وآله أوصى بهم وأكَّد أنَّهم الأجدر والأوثق؛ لارتباطهم بالقرآن ((إنِّي تاركٌ فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلُّوا: كتاب اللَّه وعترتي أهل بيتي))[١]، وهي إشارة صريحةٌ لا تقبلُ اللبس إلى أنَّهم حماة العلم القرآني، ومصدر التفسير الأصلي. فهم من فاطمة إلى عليٍّ إلى أولادِهم (عليهم السلام أجمعين) نشؤوا في كنفهِ صلى الله عليه وآله، وهو ما منحهم فهمًا عميقًا للنصوص القرآنيَّة، وأسرارها، وهذا ما أشار إليه الإمامُ الصادق عليه السلام بقولهِ: ((إنَّ اللَّه خصَّنا بعلمه الذي أوتيه به نبيَّه صلى الله عليه وآله، فلا أحد أعلم منَّا بالقرآن))[٢]. وهذا كلُّه أهَّلَهم ليجتهدوا في العطاء، فقدَّموا تفسيراتٍ عقليَّة وروحيَّة متعمِّقة، تشمل التأويل الظاهر والباطن، وقد اشتهروا بذلك فعرفَ الناسُ ارتباطَ أهل البيت عليهم السلام الوثيق بالقرآن الكريم، واعتبرهم العديد من علماء المسلمينَ الورثة الحقيقيِّين لعلم النبيّ صلى الله عليه وآله، بدلالةِ حديث الثقلين: ((إنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب اللَّه، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض))[٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم: ٢٤٠١.

(٢) الكافي: ١/ ٤٥٦.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: ٢٤٠٨. ومسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٢٧٩٥. وسنن الترمذي، حديث رقم: ٣٧٨٥.

بل إنَّ وصفَ رسول اللَّهﷺ لهم بقوله: ((إنَّما مَثَلُ أهل بيتي كمثل السفينة، مَن ركبها نجا، ومَن تخلَّف عنها غرق)) يشيرُ بشكلٍ واضح إلى ارتباطهم بالقرآن والهدى، وأنَّهم الحاملون الحقيقيُّون للمعرفةِ الشرعيَّة[1] الَّتي يجب أن تؤخذَ عن طريقِهم لا عن طريقِ غيرِهم.

وتسلَّط هذه الدراسةُ الضوءَ على العناية الخاصَّة التي أولاها النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام لتفسير القرآن، وتفرّدهم بهذه العناية دون غيرهم من الصحابةِ والتابعين، استنادًا إلى رواياتٍ موثَّقةٍ وتحليلات علميَّة مقارنة؛ ولتوثيق هذه الجنبة المهمَّة التي لم تحظَ بالعنايةِ التي تستحقّها؛ ولكي لا يأتِ مَن يدَّعي أنَّ رواياتنا عنها جميعها مستقاة من مصادرِ مدرستنا، اعتمدتُ في كتابةِ البحث مصادر المدرستين.

ولغرض استكناه النتائج وحصرها، اعتمدتُ منهجيَّة أكاديميَّة متكاملة تمزجُ بين المنهج التحليلي التاريخي، والمنهج المقارن على وفق الآتي: المنهج التاريخي التحليلي؛ لأنَّه يُستخدَم لتتبُّع الظواهر الفكريَّة والدينيَّة عبر الزمن، مع تحليل السياقات التاريخيَّة والاجتماعيَّة المحيطة بها. والمنهج المقارن؛ لأنَّه يقوم أصلًا على المقارنة بين الرؤى والمواقف المختلفة في قضيةٍ واحدة، من أجل الكشفِ عن الفوارق. فضلًا عن المشتركاتِ الجوهريَّة. واستعنت بالمنهج النَّصِّي الروائي الذي يعتمدُ على السرد؛ لتقديم قصَّةٍ أو أحداثٍ وذلك بتتبُّع النصوص الأصليَّة من كتب الحديث والتفسير. مع نقدِ الروايات، ومحاولة التمييز بين الصحيحِ والضعيفِ كلَّما دعت الضرورة.

وقد بنيتُ المنهج البنائي المنطقي للبحثِ بكتابة المقدِّمة التي أوضحت فيها أهمِّيَّة الموضوع وسبب اختياره. ثمَّ قسَّمت البحث على ثلاثةِ مباحث، وزَّعت فيها المادَّة علميًّا بدءًا من التأسيس النبويّ، وصولًا إلى التطوير عند الأئمَّة عليهم السلام، إلى المقارنة، ثمَّ الوظيفة المرجعيَّة، وختمتها بالأثرِ المذهبي.

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٣٠٢.

المبحث الأوَّل: منهجُ رسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله في التَّفسير

يُعدُّ التفسيرُ النبويّ أبرزَ مصادرِ التفسيرِ؛ إذ كان النبيُّ صلى الله عليه وآله يفسِّرُ الآيات مباشرةً، مبيِّنًا معانيها، وما يتعلَّق منها بالأحكامِ والعقائد[١]؛ وذلك لكونه المبلِّغ الأوَّل عن اللَّه تعالى، والمبيِّن للكتاب، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ ولكي يتحوَّل أسلوبه صلى الله عليه وآله إلى منهجٍ بنائيٍّ وضع قواعد وأسسًا للتفسير، منها:

تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ؛ إذ كان صلى الله عليه وآله يفسِّرُ آياتِ القرآنِ بعضها ببعض، وهذا أسلوبٌ قرآنيٌّ أصيل، وفيه تُستعمل آيةٌ لتوضِّحَ معنى أخرى، أو تُضيف إليه[٢]، فضلًا عن ذلك كان صلى الله عليه وآله يفسِّر القرآنَ بالسنَّةِ الشفويَّة والتطبيق العملي، وذلك بشرحِ آيات القرآن شفاهًا للصَّحابة، مبيِّنًا كيفيَّة تطبيقها عمليًّا في العباداتِ والمعاملاتِ[٣].

وكان صلى الله عليه وآله يستخدمُ السِّياق التاريخي والظرفي أو ما يُعرف بـ(أسباب النزول) لإيصال المعنى إليهم؛ إذ كان يأخذُ بالحُسبان أسبابَ نزول الآيات، والمواقف التي أُنزلت فيها، ممَّا يساعدهم على فهم المقصد من النَّصِّ[٤]، والأشمل من ذلك أنَّه لكونه يتلقَّى الوحي مباشرة، فإنَّ تفسيرهُ للقرآنِ يحملُ الصِّفة الإلهيَّة، ويختلفُ عن اجتهاداتِ البشرِ اللاحقة[٥].

وكانت منهجيَّته صلى الله عليه وآله التفسيريَّة تهدفُ إلى توضيحِ آيات الأحكام، والأمورِ الغامضة، أو التي تحتاج إلى تفريع وتفصيلٍ عند نزولِها، بما يحقِّق فهمها الصحيح[٦]. وهذا يعني: أنَّه صلى الله عليه وآله ربطَ التفسير بالحياةِ العمليَّة سواء في العباداتِ

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ١٢٧.
(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١/ ١٥.
(٣) ينظر: الاستذكار: ٢/ ٤٥-٤٧.
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٧٨- ٨٠.
(٥) ينظر: مجموع الفتاوى: ١٥/ ١٢٠.
(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٠٠.

أو في المعاملاتِ الأخلاقيَّة والاجتماعيَّة، باستعماله لغةً عربيَّةً فصيحةً وسليمةً، بما يحقِّقُ نقل المعنى الحقيقي دون لبسٍ أو غموضٍ[١]. فضلًا عن ذلك، كان يحثُّهم ويشجِّعهم على التفكيرِ العقلاني في فهم النصوصِ القرآنيَّة، مع الالتزامِ بنصوص الوحي وعدمِ تجاوزها[٢]. وكانﷺ يحذِّرهم من التفسيرِ بالظنونَ والأهواء، فكان ينهى عن تأويلِ القرآن بالظنِّ أو الهوى، ويأمرُ بالثبات على ما جاء به الوحي[٣]. بمعنى أنَّه رسَّخَ قواعد التَّفسيرِ في أدمغتهم.

وكانت أولى القواعد التفسيريَّة التي رسَّخها هي قاعدةُ تفسيرِ القرآنِ بالقرآن؛ إذ توضّح آيةٌ معنى أخرى، أو تضيف إليه، ثمَّ اعتمدَ أسلوبَ الشرح شفويًّا، والتطبيق عمليًّا، فكان يشرحُ الآيات للصحابة، ثمَّ يبيِّن لهم كيفيَّة تطبيقها عمليًّا لاسيَّما في العباداتِ والمعاملاتِ. وكان في تفسيره يأخذُ بالحُسبان أسبابَ نزول الآيات ليساعدهم على فهمِ المقصدِ من النصِّ؛ ولأنَّ بعضَ الأحكام والأمور الغامضة بطبيعتها كانت تحتَاجُ إلى تفصيلٍ عند نزولِها، كان رسول اللّهﷺ يتولَّى هذه المهمَّة بما يحقِّق لهم جميعهم فهمها الصحيح، وحذَّرهم من التفسيرِ بالظنِّ والهوى، وكان ينهاهم عن تأويلِ القرآنِ بالظنِّ، ويأمرهم بالثباتِ على ما جاء به الوحي. وهذا يعني: أنَّه أولى التفسير عنايةً بالغةً، تجلَّت في مظاهر عدَّة، منها:

أنَّه كان يبيِّن لهم ما أُجمِلَ في القرآنِ من الأحكام، أو المفاهيم العقديَّة والأخلاقيَّة، فيبيِّنُ الحدود والمقادير، فهو في تفسيرِهِ قوله تعالى: ﴿آتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة:٤٣]، بيَّن لهم مقادير الزَّكاة، وأنصبتها وتفاصيلها التطبيقيَّة، التي لم ترد في النصِّ القرآنيّ[٤]، وفي أداء الصَّلاة وما يتعلَّقُ بها، شرح لهم كيفيَّة الأداء، وعدد الرَّكعاتِ، والأمور الأخرى. وكان يوضِّحُ لهم أسباب النزول؛ ليعرفوا

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل: ١/ ٥٠.
(٢) ينظر: المنقذ من الضلال: ١٢٠.
(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٠، والمنقذ من الضلال: ١٢٠.
(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٨٣.

مدلولها الخاصِّ والعامّ. وقد نُقل عنه صلى الله عليه وآله أنَّه قال في تفسيرِ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]: إنَّها نزلت حين دعا على كفَّار قريشٍ بعد أُحُد، فبيَّن اللَّه له أنَّ الهداية بيده سبحانه(١).

وكان يستثمرُ أسئلتهم عن معنى بعض الآيات الغامضة أو المشكلة، فيجيبهم مباشرة. ومنها أنَّه صلى الله عليه وآله لمَّا نزلَ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، ظنَّ بعض الصحابة أنَّ المقصود هو أيُّ ظلم، فقالوا: ((يا رسولَ اللَّه، أيُّنا لم يظلم نفسه؟، فقال صلى الله عليه وآله: ليس كما تظنُّون، إنَّما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]))(٢).

وهناك أنموذج آخر قدَّمه لهم وطبَّقه معهم؛ هو منهج التربية القرآنيَّة عبر التفسير العمليّ بعد أن جعل القرآنَ يتجسَّد في شخصيَّته، ولذا ((كان خُلُقُه القرآن))(٣)، ومن ثمَّ كان تفسيره العملي للقرآن مصدرًا لفهم المسلمين للنصِّ، في العبادات والمعاملات والسلوك. أمَّا التأويل؛ فقد جعله رسول اللَّه صلى الله عليه وآله ذريعةً للإدراك الحسن؛ إذ كان أحيانًا يفسِّر الآية بتأويلٍ خاصٍّ يتجاوز المعنى الظاهري لها. فهو عندما فسَّر لهم قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، قال: ((مَن أحبَّني فقد أحبَّ اللَّه))(٤)، موضِّحًا علاقة الطَّاعة بالمحبَّةِ الروحيَّة. وجميل أن نربط الحبَّ المتبادل مع اللَّه تعالى بالحبِّ المتبادل بينه وبين أبنائه، كما في قوله صلى الله عليه وآله: ((مَن أحبَّهما فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني. يعني: الحسن والحسين عليهما السلام))(٥).

(١) ينظر: صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٥٦٦.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم: ١٢٤.
(٣) م. ن، حديث رقم: ٧٤٦.
(٤) المعجم الكبير: ١/ ٨٥، حديث رقم: ١٨٧.
(٥) السلسلة الصحيحة، حديث رقم: ٢٨٩٥.

ولترسيخ قواعد التَّفسير تولَّى رسول اللَّه ﷺ تعليم التَّفسير للإمام عليٍّ عليه السلام أوَّلًا، ثمَّ لبعضِ الأفراد المخصوصين من الصَّحابةِ، وعهد لهم مهمَّة نقلِ علمِ التفسير، وخصَّهم بالدعاءِ لهم، كما قال لابن عبَّاس: ((اللَّهمَّ فقِّهه في الدينِ، وعلِّمه التأويل))[1]، وقد كان ابنُ عبَّاس من كبارِ المفسِّرين؛ نتيجة لهذه العناية النبويَّة.

لكنَّ جلَّ همِّه انصبَّ على تعليم الإمام عليٍّ وأولاده عليهم السلام قواعد التفسير وأصوله، وأباحَ لهم التفريع. أمَّا الصَّحابة الَذين اختارهم فقد نهاهم عن التفسيرِ بالرأي المجرَّدِ، ولطالما حذَّر من تفسير القرآنِ دون علم؛ إذ قال: ((مَن قال في القرآنِ برأيه فأصاب، فقد أخطأ))[2]، ما يدلُّ على اهتمامه بأن لا يكون التَّفسير خاضعًا لأهواءٍ أو تأويلاتٍ غير مؤسَّسة، وهذا ما لم يلتزموا به بعد عصر البعثة. ففي الحقبة (١١ - ٤٠هـ)، ورث الصَّحابة مسؤوليَّة شرح معاني القرآن للتابعين، مستندينَ إلى ما سمعوه من النبيِّ ﷺ في تفسيرِه للآيات، وما فهموه من اللغة والسياق، وما تشكَّل لديهم من معرفةٍ بسبب معايشتهم لزمنِ التنزيل، وقد أثبتَ الواقعُ أنَّ من بينِهم مَن غلَّبَ رأيه، واجتهدَ، وأوَّلَ خلافًا للوصايا.

ومن أشهرِ مفسِّري هذه الحقبة عبد اللَّه بن عبَّاس، الملقَّب بـ(ترجمان القرآن)، وقد قال ابن تيميَّة: ((أعلمُ الناس بالتفسير أهل مكَّة؛ لأنَّهم أصحاب ابن عبَّاس))[3]. ودخل على الخطِّ عبد اللَّه بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وزيدُ بن ثابت.

أمَّا في مرحلةِ التابعين التي تمتدُّ من ٤٠ إلى ١٠٠ هجريَّة تقريبًا، فقد بدأ الاهتمامُ المنهجي بالتفسير، وفيها ظهرت مدارس التفسيرِ:

أ. مدرسة مكَّة: بقيادة مجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عبَّاس، وسعيد بن جبير.

ب. مدرسة المدينة: برئاسة أبي العالية، ومحمَّد بن كعب القرظي.

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب: مناقب عبد اللَّه بن عباس، حديث رقم: ٣٧٥٦.
(٢) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب: في كراهيَّة القول على اللَّه بغير علم، حديث رقم: ٣٦٥٢.
(٣) مقدمة في أصول التفسير: ١٤.

ج. مدرسة الكوفة: مثَّلها علقمة والأسود، وهما من تلاميذ ابن مسعود.

وكانت هذه المرحلة انتقاليَّة نحو تأسيس علم التَّفسير بوصفه علمًا مستقلًّا.

تلت ذلك ما عُرِفَت بمرحلة التدوين التي تمتدُّ من نحو ١٠٠ إلى ١٥٠ هجرية، وهي الحقبة التي بدأ فيها جمعُ التَّفسير وتدوينه، ضمن كتب الحديث والمصنَّفات، فكان هناك: تفسير سفيان الثوري (ت:١٦١هـ)، وتفسير مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، وبعد ذلك بدأ التفسير يظهر كعلم مستقلٍّ إلى جانبِ الفقه والحديث.

ولأنَّ العقولَ لا تتساوى، ومداركَ النَّاس تختلف، والفهمَ يختلفُ من شخصٍ إلى آخر كانت غاية النبيّ صلى الله عليه وآله تعليمهم معاني الآيات المعاملاتيَّة والعباديَّة ببيان المجملِ وتفصيل المجملات، فكان مِن أبرزِ وجوه عنايته بتفسيرِ القرآن الكريم، قيامه ببيانِ المجمل، وتفصيل ما أُبهِمَ من الأحكامِ والمعاني في النصِّ القرآني. فالمجملُ في الاصطلاح الأصولي هو: اللفظ الذي يتوقَّفُ فهم معناه المقصود على بيانٍ خارجيّ، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٤٣]، فهذا أمرٌ بإقامةِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاة، وهو مجملٌ؛ لأنَّه لا يُبيِّنُ عدد الرَّكعات، وهيئة الصَّلاة، ومواقيتها، ولا يُبيِّن أنصبة الزَّكاة ومقاديرها، ولا أنواع الأموال الخاضعة للتزكيةِ، ولا الشروط، فقامَ صلى الله عليه وآله بتفصيلِ هذا المجمل(١).

فاللَّه تعالى هو الذي أوكلَ لرسولهِ صلى الله عليه وآله هذه المهمَّة بقولهِ جلَّ في علاه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، فهي آيةٌ مؤسِّسةٌ لدورِ النبوَّةِ في تفصيل المجملاتِ القرآنيَّة.

وفي أحكام المواريث جاءت بعض الآياتِ بشكلٍ مجملٍ، فقام رسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله بتفسيرها عمليًّا ولفظيًّا، وبيَّن الحالات المختلفة للميراثِ، ولاسيَّما في التنازعِ

(١) ينظر: المستصفى في علم الأصول:١/ ٦٨. والبرهان في أصول الفقه: ١/ ١٩٨، والإحكام في أصول الأحكام:٣/ ٣٠، والإتقان في علوم القرآن:١/ ١٨٣.

بين الورثة[١]. هذا فضلًا عن وجودِ ألفاظٍ قرآنيَّة تحتملُ أكثر من معنى، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير:١٧]، فقد فُسِّرت كلمة ﴿عَسْعَسَ﴾ بوجهين: الأوَّل: أقبلَ، والثاني: أدبرَ، فجاء التفسير النبويّ ليرجِّح أحدَ المعنيين بحسبِ السياقِ، أو يوفِّق بينهما بحسبِ شمولِ اللغة[٢].

وهناك واحدٌ من أهمِّ الأدوار التفسيريَّة التي اضطلع بها النبيُّ ﷺ، تولَّى خلاله مهمَّة توضيح أسبابِ نزولِ الآياتِ القرآنيَّة، وهو ما يُعرف في علومِ القرآنِ بـ(علم أسباب النزول)، الذي يُعدُّ من مفاتيح فهم النَّصِّ القرآني. فالآياتُ كثيرًا ما تنزلُ استجابةً لحادثةٍ أو جوابًا لسؤالٍ، وكان النبيُّ ﷺ يُخبر الصَّحابةَ بالسياق الذي نزلت فيه الآية، فيكون ذلك قرينة تفسيريَّة مهمَّة تساعدُ على تحديدِ المراد الدقيقِ منها. وقد أشار السيوطي إلى أنَّ ((معرفة سبب النزولِ تُعين على فهمِ الآية فهمًا صحيحًا، فإنَّ العلم بالسببِ يُورثُ العلمَ بالمسبِّب))[٣].

وخلاصةُ ما رسَّخهُ رسولُ اللَّه ﷺ من مبادئ التَّفسيرِ العامَّةِ أنَّه ربط النصَّ بالواقعِ، وذلك بتوضيحِ الملابساتِ، وأرشدهم إلى وجوبِ التمييزِ بين العامِّ والخاصِّ، طالما أنَّ بعضَ الآياتِ وإن نزلت في واقعةٍ محدَّدةٍ، إلَّا أنَّه نبَّههم على عمومِ حكمها أو خصوصيَّته، ومنعهم من التَّأويلِ العشوائي، فضيَّق دائرة الاحتمالاتِ التفسيريَّة، ووجَّه الفهم نحو المعنى المقصودِ.

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ١٢٦-١٢٧.
(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٣٠/ ٩٤.
(٣) الإتقان في علوم القرآن:١/ ٣٠.

المبحث الثَّاني: عليٌّ عليه السلام المفسِّرُ الأوَّل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

إنَّ طرقَ حديثِ ((علَّمني رسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله ألف بابٍ من العلم، يفتح لي من كلِّ بابٍ ألف باب)) عديدة، منها عن عبد اللَّه بن مسعود أنَّه قال: ((إنَّ عليَّ ابن أبي طالب أُوتي علمَ الأوَّلين والآخرين، وقد علَّمه رسولُ اللَّه ألف بابٍ من العلم، يُفتح له من كلِّ بابٍ ألف باب))، وفي رواية عنه أيضًا: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: ((علَّمتُ عليًّا ألف بابٍ من العلم، يفتح من كلِّ بابٍ ألف باب))[1]. وبذلك جعله رسول اللَّه صلى الله عليه وآله باب مدينة علمه، فقال: ((أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابها، فمَن أراد المدينةَ فليأتِ من الباب))[2]، وهو قولٌ مسؤول، يُعبِّر عن موقع الإمام عليّ عليه السلام بوصفه مرجعًا علميًّا أعلى، ومصدرًا لفهم جميع العلوم الشرعيَّةِ، ومن أهمِّها علوم القرآن. ولقد أثبتت الوقائعُ سمو منزلة عليٍّ عليه السلام العلميَّة، فقال عبد اللَّه بن عبَّاس: ((ما علمتُ أنَّ أحدًا أعلم من عليٍّ، لقد علَّمه رسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله ألفَ باب، يفتح من كلِّ بابٍ ألف باب))[3]. وعن سلمان الفارسي، قال: ((سمعتُ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله، يقول: أعلمُ أمَّتي من بعدي عليٌّ ابن أبي طالب، علَّمه ألف باب من العلم، يفتحُ من كلِّ بابٍ ألف باب))[4].

وهذا يضعُ عليًّا عليه السلام في الصَّدارة المطلقةِ في كلِّ شيء، وأوَّلها التَّفسير تبعًا لقوله عليه السلام: ((ما نزلت آية إلَّا وقد علمت أين نزلت، وفيمن نزلت، وفي أيِّ شيءٍ نزلت))[5]. والمعروف أنَّ معجم الطبراني من أهمِّ كتب الحديث، وهو مصدرٌ موثوق في الدِّراسات الإسلاميَّة لدى أغلب المدارس الفقهيَّة الإسلاميَّة.

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٧٦.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/ ١٦٥.
(٣) تاريخ بغداد: ٢/ ٦١، والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٣.
(٤) الهداية الكبرى: ٢٣٧، وفي كتبنا ورد في الكافي: ١/ ٢٤، وبصائر الدرجات الكبرى: ١٢٣. وغيرها.
(٥) المعجم الكبير: ١/ ٧٥، حديث رقم: ١٨٧.

وعن الأصبغ بن نباتة: ((لمَّا قدَّمَ أميرُ المؤمنين عليه السلام الكوفة، صلَّى بهم أربعين صباحًا وهو يقرأ عليهم: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، قال المنافقون: لا واللَّه ما يُحسِن ابن أبي طالب أن يقرأ القرآن، ولو أحسن أن يقرأ القرآن لقرأ بنا غير هذه السُّورة، فلمَّا بلغه ذلك، قال: ويلٌ لهم، إنِّي لأعرف ناسخه من منسوخِه، ومحكمِه من متشابهِه، وفصله من فصالِه، وحروفه من معانيه، واللَّه ما من حرف نزلَ على محمَّد صلى الله عليه وآله إلَّا وإنِّي أعرف فيمَن نزل، وفي أيِّ يوم، وفي أيِّ موضع. ويلٌ لهم، أما يقرؤون: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:١٨ - ١٩]، واللَّه عندي ورثتهما من رسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وقد أنهى لي رسول اللَّه صلى الله عليه وآله صحفَ إبراهيم وموسى. ويل لهم، واللَّه أنا الذي أنزلَ اللَّه في ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٢]، فإنَّما كنَّا عند رسول اللَّه صلى الله عليه وآله فيُخبرنا بالوحي فأعيه أنا ومَن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قالَ آنفًا؟))[1].

إنَّ علاقة عليٍّ عليه السلام بالقرآن الكريم لا تشبهها أيّ علاقة؛ لأنَّ علاقته الروحيَّة برسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله تمتدُّ منذ أيَّام طفولته وصباه؛ إذ ربَّاه النبيُّ صلى الله عليه وآله في بيته قبل البعثة، وكان أوَّلَ مَن آمن، فكان شاهدًا مباشرًا للوحي ومطَّلعًا على بدايات وخفايا نزول القرآن. قال عليه السلام في خطبة له: ((ولقد كنت أتَّبعه اتِّباع الفصيل أثر أمِّه، يرفع لي كلَّ يوم من أخلاقِه علمًا، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كانَ يجاور في حراء، فرأيته وما يراه أحدٌ غيري، ولقد سمعت رنَّة الشيطان حين نزل الوحي عليه))[2]. وكان كاتب الوحي في زمن البعثةِ، وأوَّلُ من جمع القرآن بعد وفاة النبيِّ صلى الله عليه وآله، ورتَّبه على وفق ترتيب النزول، وهو ما ورد في مصادر المدرستين معًا.

(١) ورد الحديث بتفاوت قليل في الألفاظ في: تفسير العياشي:١/ ١٤، والبرهان في تفسير القرآن: ١/ ٣٧، وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسُّنة والتاريخ: ١٠/ ٥٢، والنسخ بين المفسِّرين والأصوليين: ٥٧، وتدوين القرآن: ١١٩.
(٢) نهج البلاغة، خطبة رقم: (١٩٢)، ٢٦١.

قال السيوطيُّ: ((أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحفِ من طريق ابن سيرين قال: قال عليٌّ: لمَّا مات رسول اللَّه صلى الله عليه وآله، آليتُ أن لا آخذ عليَّ ردائي حتَّى أجمع القرآن، فجمعه))[1].

وقد علَّق ابن حجر على رواية ابن سيرين، قائلًا: ((وإنَّما خُصَّ عليٌّ بذلك؛ لأنَّه اعتزل عن بيعة أبي بكر، وفرغ لجمعِ القرآن))[2].

وعن عبد خير، قال: ((سمعت عليًّا يقول: لمَّا توفِّي رسول اللَّه صلى الله عليه وآله اشتغلتُ بجمعِ القرآن))[3].

وورد في مصادرنا: ((ثمَّ إنَّ عليًّا آلا على نفسهِ أن لا يرتدي برداءٍ حتَّى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيَّام يجمعه على ترتيب نزولهِ))[4]. ومثله: ((إنَّ عليًّا لمَّا فرغ من تجهيزِ النبيِّ صلى الله عليه وآله جمعَ القرآن من أوَّلِه إلى آخرهِ، وألَّف بينه على ما أنزلَ اللَّه))[5].

ومثله: ((وأمَّا عليٌّ فجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله على ترتيبِ نزولِه، وأتى به إلى الصحابة، لكنَّهم ردُّوه))[6].

ويمكن تلخيص مَدَيَات إلمام الإمام عليه السلام بالتَّفسير أنَّ حبر الأمَّة ابن عبَّاس الذي امتدحه الجميع؛ بما فيهم ابن تيميَّة مثلما مرَّ علينا، وجعلوه أهمَّ المفسِّرين، ولقَّبوه (ترجمان القرآن)، قال: ((ما أخذتُ من تفسيرِ القرآن، إلَّا عن عليِّ بن أبي طالب))[7].

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٦٥.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٩/ ١٢.
(٣) المصاحف: ١٠-١١.
(٤) الاحتجاج: ١/ ٣٨٢.
(٥) الكافي: ٢/ ٦٣٣.
(٦) تفسير الصافي: ١/ ٤٨-٤٩.
(٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ١/ ١٤.

وقال في مناسبةٍ ثانية: ((ما في القُرآن آية إلَّا وقد سألت عنها عليّ بن أبي طالب))[١].

وهذا ما أكَّده الأصفهاني بقوله: ((كان عليٌّ بن أبي طالب أعلم النَّاس بالقرآن وتأويلِه، وأفقههم في الأحكام))[٢]. وهذا مصداقٌ لقول النبيِّ صلى الله عليه وآله: ((عليٌّ مع القُرآن، والقُرآن مع عليٍّ، لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض))[٣]. وهو حديث قال عنه الحاكم: ((هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، ولم يخرجاه))[٤]. وصحَّحه الألباني[٥].

ولم يكن تفسير الإمام عليّ عليه السلام محصورًا بوقتٍ أو بمناسبةٍ، فهو كان دائم الاستشهادِ بآي القرآن وشرحها في خطبه وأحكامه وأقواله، ومن أقواله: ((القرآنُ آمرٌ زاجرٌ، وصامتٌ ناطقٌ، حجّة اللَّه على خلقه، أخذَ عليهم ميثاقه، وارتهنَ عليهم أنفسَهم...))[٦].

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٣١٩.
(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١/ ٦٤.
(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٢٤.
(٤) م. ن: ٣/ ١٢٤.
(٥) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: ١٧٢٥.
(٦) نهج البلاغة، الخطبة رقم (١٣٣): ١٩٨.

المبحث الثالث: التَّفسيرُ عند الأئمَّةِ المعصومين عليهم السلام

حديثُ سلسلة الذهب: عن الإمام الرِّضا عليه السلام قال: ((حدَّثني أبي، محمَّد بن عليّ، عن أبيه، عليّ بن الحسين، عن أبيه، الحسين بن عليّ، عن أبيه، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، عن رسولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل، عن اللَّه عزّ وجلّ، قال: كلمة لا إله إلّا اللَّه حصني، فمَن دخل حصني أمنَ من عذابي)). ثمَّ قالَ الإمامُ الرضا عليه السلام: ((بشروطها، وأنا من شروطها))[1].

وسُمِّي هذا الحديث بهذا الاسم؛ لأنَّ جميع رجاله معصومون، ومن أجلِّ وأعظمِ الثِّقات في العقيدة، كان الحسن عليه السلام أوَّلهم، والحجَّة القائم عجل الله فرجه آخرهم، وهم كلُّهم نهلوا علومهم عن أبيهم عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام عن جدِّهم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله، عن اللَّه سبحانه وتعالى.

الحسنُ والحسينُ عليهما السلام وعلمُ التفسير:

على الرغم من أنَّ ما وصلنا عنهما قليل مقارنة بأبيهم عليهم السلام، لكنَّ اهتمامهما بالقرآن وتعليمه شغل حيِّزًا مهمًّا من وقتهما، فهما وَرِثا عن جدِّهما النبيّ صلى الله عليه وآله، وأبيهما الإمام عليّ عليه السلام علوم الكتاب؛ لأنَّهما ارتبطا منذ صغرهما بالوحي والقرآن، وهو ارتباطٌ أبديٌّ بدلالة قوله صلى الله عليه وآله: ((لا يفترقان)). وقد كانت مجالسُ النبيِّ صلى الله عليه وآله، ومجالس الإمام عليّ عليه السلام مجالس تعليم وتأويل وتفسير لهما ولغيرهما، فضلًا عن التعليم الخاصّ. وقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام قوله: ((ورثنا هذا القرآن عن رسولَ اللَّه صلى الله عليه وآله علمًا وحكمًا، وتأويلًا وتنزيلًا))[2].

وقد ظهرت عنهما عليهما السلام مرويَّات وتأويلات تُبرِّزُ عمق فهمهما للنصِّ القرآني. وهناك روايات متفرِّقة لهما في التَّفسير، وإن لم تكن كثيرة؛ لكنَّها تُعبِّرُ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٥٦ـ ٢٥٧، والتوحيد، الصدوق: ٣٠٦.
(٢) تفسير القمّي: ٢/ ٤٤١.

عن خطِّ اتِّصال علمي وتأويلي، ومنها على سبيل التمثيل: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:١٧]، فقد جاء في روايةٍ للإمام الحسن عليه السلام قوله: إنَّها تشيرُ إلى ((مَن يعطي ممَّا يحبُّ، ويصبر على الجراح))[١]. وفي قولهِ تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ [النور:٣٦]، إذ ورد في تفسيرِ الإمام الحسين عليه السلام أنَّها نزلت في بيوتِ الأنبياء، وعلى رأسِها بيت فاطمة الزهراء عليها السلام، استنادًا إلى روايةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله حين أشار إلى بيتِها في أثناء تلاوةِ الآية[٢].

لكنَّ تفسيرَ الإمامِ الحسين عليه السلام انماز بمنحًى تأويليٍّ عميق، ولاسيَّما في تفسيرِ الآيات التي تتعلَّق بالعدلِ والقيادةِ والمصير، ما يعكس نزوعًا فلسفيًّا وروحيًّا في قراءة القرآن، وهي السمة التي ستتجذَّر لاحقًا في مدرسةِ الأئمَّة المعصومين عليهم السلام من أبنائه.

لقد مهَّد الحسنان عليهما السلام الطريق لفهم القرآن من منظور أهلِ البيت عليهم السلام، من خلال تربيتهم لأبنائهم زينِ العابدين، والباقر عليهما السلام، وفي شهاداتهم العمليَّة على أنَّ التفسير لا ينفصلُ عن مشروعِ الهداية والحقّ السياسي والمعرفي، وهذه ترجمة حقيقيَّة لمنهجِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، انفرد بها آلُ البيتِ عليهم السلام عن غيرِهم.

المنهجُ التفسيري للإمامِ زينِ العابدين عليه السلام:

لم تكن فاجعةُ كربلاء محصورة بمكانٍ ولا زمان، وإنَّما كانت زمنًا مفتوحًا يمتدُّ عبر التاريخ على عرض مساحةِ الأرضِ وطولها، فبعدها، ومنذ الأيَّام الأولى لنهايتها المأساويَّة، دخل البيت العلوي في مرحلةٍ جديدةٍ طابعها الألم السياسي والروحي، وهذا مثَّلَ لحظةً مفصليَّةً في تعميقِ مشروعِ أهلِ البيت عليهم السلام في الجانب العقائدي، ومنه في تفسيرِ القرآن، الذي كان الإمامُ عليّ بن الحسين زين العابدين (ت: ٩٥هـ) أوَّل مَن حمله في تلك الظروف القهريَّة.

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/ ٣٢٣.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥/ ٥٠.

لقد وظَّف الإمامُ عليه السلام تلك المأساة وظروفها ليحوِّل بها التفسير إلى أداةٍ للمقاومة الهادئة، ووسيلةٍ لبناءِ الوعي الديني الذي تعرَّض إلى صدمة عميقةٍ بعد استشهادِ الإمام الحسين عليه السلام. ولاسيَّما أنَّه القائل: ((لو مات مَن بينَ المشرقِ والمغربِ لما استوحشتُ بعد أن يكون القرآن معي))[١]. وممَّا انماز به الإمامُ زينُ العابدين عليه السلام أنَّه كان جامعًا بين المعرفةِ الظاهرة والباطنة، فهو: ((الإمامُ، السيِّدُ، زينُ العابدين، وكان له سؤددٌ وجلالةٌ، وعبادةٌ وورعٌ))[٢].

وفي ظلِّ الحصار النفسي والسياسي الذي فُرِضَ على أهلِ البيت عليهم السلام بعد كربلاء، تجنَّبَ الإمامُ زين العابدين عليه السلام المواجهة المباشرة، فحوَّل تفسيرَه للقرآن إلى خطابٍ تَعَبُّديّ صوفيّ عبر أدعيته؛ التي كانت منشورات سياسيَّةٌ توجيهيَّة، كشفَ كلَّ دعاءٍ منها عن فهمٍ قرآنيٍّ عميقٍ لمعاني التوبة، والعدل، والتوحيد، والمصير، والمجتمعِ الصالح[٣]. وهي بمجموعِها يمكن اعتبارها تفسيرًا روحيًّا وتربويًّا للقرآن على وفق منهجٍ جديد، نجحَ به في ترسيخِها في عقولِ المسلمينَ.

كان تفسيرُ الإمام زين ال عابدين عليه السلام تأويلًا أخلاقيًّا وروحيًّا، فقد ركَّز على المفاهيم الكبرى كالخشية، والرحمة، والابتلاء، والإخلاص، في ضوءِ القرآن، ومن ذلك تأويله لقولِه تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]، بقوله: ((جنَّةُ اللَّهِ ليست في الزينةِ والقصورِ؛ بل في قربِه ورضاه))[٤].

لقد جاهد الإمامُ زين العابدين عليه السلام لتوظيفِ التفسيرِ لحماية النصِّ من التأويلِ السلطويّ في مرحلةٍ تعرَّض فيها القرآن الكريم لاستخدامٍ سياسيٍّ شديدٍ من قبلِ الأمويِّين لتبريرِ سلطانهم. فكانت مواقفه ردًّا على هذا الاستخدام السيّءِ

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ١٠٦.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٨٧.
(٣) ينظر: الصحيفة السجاديَّة، دعاء رقم ٢٠ : ٢١٨.
(٤) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار: ٧٥/ ١٤٠.

والمحَرَّف، بإبرازِ جوهر الرسالة القرآنيَّة بوصفها رسالة تحرير ورحمة، لا وسيلة قهرٍ واستلاب. ومن ذلك ما رُوي عنه في تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:٧٣]، التي قال فيها: ((إنَّها نزلت في أهلِ البيتِ، لا في مَن تسلَّطوا على الأمَّةِ بالسَّيف))[١].

وبذلك كان الإمامُ زينُ العابدين عليه السلام يمثِّلُ حلقة الوصل بين تفسيرِ عليٍّ والحسنِ والحسين عليهم السلام، والمدرسة التأويليَّة الكبرى التي بدأت تتبلور على يدِ ابنه الإمام محمَّد الباقر عليه السلام، فقد حفظ الإمامُ السجَّاد عليه السلام كثير من تعاليم آبائه، ومهَّد الأرضيَّة لمشروعِ تفسيرٍ شموليّ قائم على القرآنِ والعقلِ والوجدانِ، انمازت به مدرستنا عن المدارسِ الأخرى، ولا زالت جذوره راسخةً فيها إلى اليوم.

تفسيرُ باقرِ العلوم عليه السلام:

بعد أن وَرِثَ الإمامُ محمَّد الباقر عليه السلام (ت: ١١٤هـ) هذا الموروث الفريد، تبنَّى تأسيس التفسير الإماميّ المنهجيّ لمدرسةِ أهلِ البيت عليهم السلام، بعد أن كانت في زمنِ آبائه أقرب إلى التلقِّي النخبويّ والنقلِ المحدود، بفعل الظروف السياسيَّة المحيطة بهم؛ وذلك لأنَّ في عهده تنفَّسَ البيتُ العلويّ نسبيًّا بعض نسيم الحريَّةِ من الحصارِ الأموي المشدّد، وهذا ما أتاحَ للإمام الباقر عليه السلام البدءَ بمشروعٍ علميٍّ شامل لتفسير القرآن، غلبَ عليه الطابع العقلي والروحي، وهو بذلك كانَ المؤسِّسَ الحقيقي لمدرسةِ التفسير الإمامي المعروفة اليوم.

لقد أجمعت نقولُ المدارسِ الفقهيَّة على فضلهِ وعلوّ منزلته، فهو: ((أحدُ مَن جمعَ العلم والعمل والسؤدد، وكان أحدَ سادةِ التابعين))[٢]، وقد تلقَّى العلم عن أبيه زينِ العابدين، وجدِّه الحسين عليهما السلام، وروى عن جابرِ بن عبد اللَّه الأنصاري،

(١) تفسير القمي: ٢/ ٤٥.
(٢) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٣١٦.

ممَّا جعله حلقةً فريدة تصلُ بين الإمامةِ والصحابة، وبين التفسيرِ النبويّ والرؤية الباطنيَّة للقرآن. قال عنه جابر: ((إنَّه الباقر، قد بقرَ العلمَ بقرًا))[1]، أي: شقَّه واستنبطه بدقَّة.

وفي مجلسِ وعظه نشأت علومُ القرآن عند الإماميَّة، التي اهتمَّت بالفرعيَّات، مثل: معرفة الناسخ والمنسوخ، شرح المحكم والمتشابه، تحليل الظاهر والباطن، تفسير الآيات الكونيَّة والأخلاقيَّة والسياسيَّة. فهو مثل آبائهِ عليهم السلام وضعَ كامل ثقتهِ في القرآنِ الكريم، مثلما يُفهَمُ من قولهِ عليه السلام: ((ما من أمرٍ يختلف فيه اثنان، إلَّا وله أصلٌ في كتابِ اللَّه، ولكن لا تبلغه عقولُ الرجالِ))[2]، وهو تصريحٌ أسَّسَ به لمبدأ تفسيرِ القرآن بالقرآن، وبما تحتمله طبقاته المعنويَّة.

وفي منهجهِ التفسيريّ، ركَّزَ الإمامُ عليه السلام على محاور مركزيّة عدَّةٍ، منها:

- إبرازُ مركزيَّةِ التوحيد العادل، لا التوحيد الجبري.

- تأكيد القيادة الشرعيَّة للهداةِ من أهلِ البيت عليهم السلام، ولاسيَّما في تأويلِ آياتِ الإمامة.

- الدفاعُ عن حريَّةِ الإنسانِ ومسؤوليَّته.

- رفْضُ التفسيرِ الاستبدادي للنصوص.

- توظيفُ العقيدةِ لتحدِّي الطغاة، والوقوف بوجههم؛ لمنعِ تحريفهم وتدليسِهم.

ويعني هذا أنَّ منهجه التفسيري كان تحدِّيًا حقيقيًّا للطغاة، ومرشدًا للأمَّة. ومن ذلك على سبيل التمثيل تفسيره قولهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]، بقوله عليه السلام: ((المنذرُ رسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله، والهادي مِن بعده عليّ بنُ أبي طالب عليه السلام، وفي

(١) الكافي: ١/ ٤٧٢.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢١٧.

كلِّ زمانٍ إمامٌ منَّا))[١]. ومن ذلك يتضح أن، انماز تفسيرَه لم يكن نقليًّا صرفًا؛ لأنَّه استخدم الرواية عن النبيِّ ﷺ والصحابة، والتحليل اللغوي العميق، والرمزيَّة التأويليَّة، ولاسيَّما في الآياتِ المتعلِّقةِ بالقيادة والآخرةِ. وهذا ما جعله مرجعًا لتفسيرينِ متوازيينِ: التفسيرُ الظاهريّ الشرعيّ، والتفسيرُ الباطنيّ الروحيّ.

وقد تَخَرَّج من مدرستهِ المئاتُ من الرواةِ والمفسِّرين، أبرزهم ابنهُ الإمامُ جعفرُ الصادقعليه السلام، الذي أكمل مشروع التفسير. فضلًا عن ذلك نجدُ أنَّ كتب التفسير الإماميّ اللاحقة مثل تفسيرِ القمِّي، وتفسير العيَّاشي اعتمدت أقواله بوصفه مصدرًا أصيلًا لعلم التفسير الصحيح. وهذا لا يعني أنَّ التفاسير قبل ذلك كان فيها خطأ ما، وإنَّما كانت تفسيرات تتماهى مع الحقبةِ التاريخيَّة.

وقد وثَّق العيَّاشيرحمه الله عشرات الأحاديث التفسيريَّة المنقولة عن الباقرعليه السلام، ممَّا يجعله بحقٍّ ((أوَّل مُدوِّنٍ فعليّ لتفسير القرآنِ داخل البيت العلويّ))[٢]، ومن ثمَّ شكَّلت رواياتُ الإمامينِ الباقرِ والصادقِعليهما السلام أساسًا لما عُرِفَ فيما بعد بالتفسير الروائي الشيعي. وإليهما نُسبت تفاسيرُ موثَّقة في كتبٍ مهمَّةٍ مثل تفسير العيَّاشي وتفسير القُمِّي، حتَّى قيل: ((ورُوِيَ عن الأئمَّة من آل البيتِعليهم السلام تفسير كثير للآيات، وقد اعتمد عليه أصحابنا، وأكثره عن أبي جعفر وأبي عبد اللّهعليهما السلام))[٣]، وقيل بشأنِ ذلك: ((إنَّ أقدمَ التفاسيرِ المعروفة عند الشيعة ما رُوي عن الإمامينِ الباقر والصادق، وقد جمعها القمِّي والعيَّاشي والفرات الكوفي في كتبهم))[٤].

وهناك أقوالٌ أخرى أكَّدت هذه الحقيقة، منها قول: ((اعتمدَ الشيعةُ على الروايات عن أئمَّتِهم في التَّفسيرِ، لا سيَّما ما نُقلَ عن الإمامين الباقرِ

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٢٦٧.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/ ٩٨.
(٣) م. ن: ١/ ١٥.
(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/ ٢٩٥.

والصادقِ عليه السلام، وقد جمعت هذه الروايات في تفسيري القمِّي والعيَّاشي وغيرهما))[١]. ومثله قول: ((اهتمَّ الشيعة الإماميَّة بروايات أئمَّتهم، واعتبروها تفسيرًا للقرآن. وتعود أقدم رواياتهم إلى الإمامين الباقرِ والصادقِ، وتُروى في تفسير القمِّي والعيَّاشي))[٢]. ومثله أيضًا، قولهم: ((كان أئمَّة الشيعة، وبالذات محمَّد الباقرِ وجعفرَ الصادق، يُعتبرون مصدرًا أساسيًّا للمعرفةِ الدينيَّة، وقد أسهموا إسهامًا كبيرًا في التفسيرِ الروائي الإمامي، وجُمعت أقوالهم لاحقًا في كتبٍ مثل تفسير العيَّاشي))[٣].

الإمامُ جعفرُ الصادق عليه السلام ومنهج التأويل العقلي:

مع بدءِ إمامةِ إمامِنا جعفر الصادق عليه السلام في أواخرِ النصف الأوَّل من القرنِ الهجري الثاني، كانت مدرسةُ التفسير الإماميّ قد بلغت مرحلة عالية من النضجِ المعرفي، بعد أن اتَّسعت آفاق التأويل القرآني لتشمل الفهم العقلي، والرمزي، والروحي، ضمن إطارٍ منضبطٍ لا يخرج عن مقاصد الشريعة، وذلك بعد أن نجح الإمامُ الصادقُ عليه السلام في تحويلِ التفسير من مجرَّدِ شرحٍ لغويٍّ أو نقليٍّ إلى منظومة معرفيَّةٍ شاملة تتفاعلُ مع الفلسفة، والعلوم الطبيعيَّة، وعلم الكلامِ، والفقه، وقد جاء ذلك تبعًا للتطوّر المجتمعي الحاصل.

ومن هنا، عُدَّ الإمامُ الصادق عليه السلام مرجعًا في الحديث، والفقه، والكلام، والتفسير. وقد تتلمذَ على يديه كثيرٌ مباشرةً أو بالوساطة منهم: أبو حنيفة ومالك بن أنس[٤]. ومن ثمَّ عكس هذا التنوُّع في تلاميذه مكانته كعالمٍ موسوعيّ تجاوز حدود الطائفة، ولاسيَّما في مجالِ التَّفسيرِ العقليّ والإشاريّ للقرآن.

(١) التفسير والمفسرون: ٢/ ٣٠.
(٢) تاريخ القرآن: ١٨٤.
(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ تطوّرهما: ٢٢٣ـ ٢٢٥.
(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥.

وكانت من أولى الدعائم في منهجه التفسيري أنَّه جعل النصَّ القرآني المصدر الأوَّلَ للمعرفة، ويجبُ تفسير النصِّ القرآني بالقرآنِ نفسه، ثمَّ بالسُّنَّةِ والعقل، وكذلك أكَّدَ جنبةً لم تأخذ حقَّها في التوضيح، وهي أنَّ لكلِّ آيةٍ ظهرًا وبطنًا، و((لكلِّ بطنٍ بطنٌ إلى سبعةِ أبطنٍ))، وهو ما فتح مجالًا واسعًا للتأويل الرمزيّ لا العبثيّ[١]، وهذا ما قال فيه الإمامُ عليه السلام: ((كتابُ اللَّه فيه نبأ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم... هو الفصلُ ليس بالهزلِ، لا يخلق من كثرةِ الردِّ، ولا تنقضي عجائبه))[٢]. وهو وصفٌ شاملٌ جامعٌ يشيرُ إلى حيويَّة النصِّ القرآني ومركزيَّة العقلِ في تلقِّيه.

ومن أساليبه التفسيريَّة، تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، بقوله عليه السلام: ((إنَّ اللَّه لا يظلم، ولكنَّ العبد هو الذي يظلم نفسه بتركِ طاعة اللَّه، فيُجزَى بعدلٍ لا بظلمٍ))[٣]. وتفسيرهُ قولهِ تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]، بقوله عليه السلام: ((القرآنُ يدلُّ على كلِّ شيء، حتَّى على أنفسِكم، فابحثوا فيه عن طبائعِكم، وأدوائِكم، وشفائكم))[٤]. وتفسيره قولهِ تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، أنَّ المقصودَ بالأسماءِ هو: العلمُ الجامعُ بأصولِ الأشياء وأعيانها، الذي ورثهُ الأئمَّة من آدم عليه السلام إلى محمَّد صلى الله عليه وآله، ثمَّ إلى العترة الطاهرة عليهم السلام[٥].

وهو عليه السلام مثل آبائه، انمازت تفاسيره بنقدِ التأويلِ السلطوي الذي وظَّف النصَّ الديني لتثبيت أركانِ حكمه، فهو كان يرى: ((إنَّما يعرفُ القرآن من خُوطبَ به، فأمَّا غيرنا فليس يعرفُ من تأويله شيئًا. القرآنُ خاصّ وعامّ، ومحكم ومتشابه،

(١) ينظر: الكافي: ١/ ٣٧٤.
(٢) الأمالي، الصدوق، مجلس: ١٠/ ١٥٨.
(٣) تفسير العياشي: ٢/ ٢٧٠.
(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ٩٥.
(٥) ينظر: تفسير القمي: ١/ ٤٣.

وناسخٌ ومنسوخ. لا يقدر أحدٌ أن يدَّعي تفسيره إلَّا مَن خُوطبَ به - ثمَّ قال-: إذا حُملَ القرآن على غيرِ ما أنزلَ اللَّه، هلكَ مَن لم يعلم التأويل، وإذا حُمِلَ على غيرِ أهله ضلَّ النَّاسُ عن هديه))[1].

وهو بذلك أسهمَ في ترسيخ منهج مدرسةِ التفسير الإمامي، إذ كانت تعاليمه النواة لما سيتطوَّر لاحقًا في المدرسة الإماميَّةِ من علم الأصول، وعلم الكلام القرآني، والتفسير الباطني المعقول، وتأويل الآيات على وفق نظرةٍ مقاصديَّةٍ وروحيَّةٍ. وقد نقل عنه تلامذته في تفسيرِ العيَّاشي، والبرهان، وتفسير القمِّي مئات الروايات التي شكَّلتْ أساسَ المنظومة التفسيريَّة الإماميَّة، التي سار عليها بقيَّةُ أئمَّة أهل البيت عليهم السلام فنقلوها لطلابِهم وحاشيتهم، وبها تأثَّرت المدارسُ الأخرى.

(١) الكافي: ١/ ٦٢، باب نادرٌ جامعٌ في فضل القرآن، حديث رقم: ٥.

الخاتمة:

وَضَعَ أهلُ البيتِ الكرامعليهم السلام أسسَ التفسير الفقهي؛ التي ورثوها عن جدِّهم النبيِّ الأكرمصلى الله عليه وآله، ورسَّخوا قواعده في الكمِّ الكبير ممَّا جادوا به على الأمَّة وعلى أتباعِهم وطلبتهم، والجميل في الأمر أنَّ هذا التفسير لم يبقَ حبيس الدائرة الإماميَّة؛ بل تسرَّب منها إلى مدارسِ التَّفسير الأخرى، سواء في المضمون أو المنهج أو الآليَّة.

ويُعدُّ تأثيرُهم في التُّراث التفسيري الإسلامي أحدَ صورِ الإسهام المعرفي المتبادل، التي تخطَّت الحواجز المذهبيَّة الصلبة لتؤسِّسَ للوحدة الإسلاميَّة التي عمل السياسيُّون وأتباعُهم على تدميرها، ولاسيَّما بعد أن كانت تفاسير المدرسة الشيعيَّة قد انتقلت من التفسير الرمزي إلى التفسيرِ العقلي بالاعتماد على رواياتِ الأئمَّةعليهم السلام مثلما هو تفسير القمِّي (ت: ٣٠٧هـ)؛ الذي اعتمد بشكل شبهِ كاملٍ على أقوالِ الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام، وتفسير العيَّاشي (ت: ٣٢٠هـ)؛ الذي وثَّق مئات الروايات عن الأئمَّة المعصومينَ، بأسلوبٍ روائيٍّ خالصٍ، دون تدخُّلٍ منهجيٍّ ظاهر، وتفسير الصافي للفيض الكاشاني (ت:١٠٩١هـ)؛ الذي جمع بين البعدِ الرُّوحي واللغوي والعقلي، وأبرزَ دورَ المدرسة التأويليَّةِ الروحيَّة لأهل البيتعليهم السلام، وتفسير الميزان للعلامة الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)؛ الذي يمثِّلُ قمَّة النضج في التفسير العقلي القرآني داخل المدرسة الإماميَّة، مستندًا إلى منهجِ أهل البيتعليهم السلام، ومبنيًّا على تفسيرِ القرآن بالقرآنِ الذي أسَّسه الإمامانِ الباقر والصادقعليهما السلام، وهو ما يُفهَمُ من قوله: ((إنَّ الروايات الواردة عن أهلِ البيتِ لا تشرح ظاهرَ الآياتِ فحسب؛ بل تسبر أغوارها، وتكشفُ باطنها بما يتوافق مع روحِ التنزيلِ))[1].

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١١.

من هنا بدأت الآثارُ الفعليَّة للتفسير الإمامي تظهر على الرغم من الحساسيَّة العقديَّة، إذ تسلَّلت أقوال أهل البيت عليهم السلام إلى كتبِ التفسير في المدارسِ الأربعةِ، في مسارينِ مهمَّينِ:

الأوَّل: النقلُ الروائي، مثلما ظهر لدى الطبري (ت:٣١٠هـ) في تفسيرِه، فقد ذكر الإمام عليًا، والحسن، والحسين، والباقر عليهم السلام أحيانًا عند تفسيره للآيات المتَّصلةِ بأهل البيت عليهم السلام وفضائلهم. فضلًا عن ذلك أورد السيوطي (ت: ٩١١هـ) في الدرِّ المنثور أقوالًا عن الإمامينِ الباقرِ والصادق عليهما السلام، منها في تأويلِ آيةِ التطهير[1]، وآية الولاية[2].

والثاني: المدرسة الصوفيَّةُ وبعض الاتِّجاهات الكلاميَّة السُّنِّيَّة التي تأثَّرت منهجيًّا، فنقلت فكرة (الباطن القرآني) التي برزت عند أهلِ البيت عليهم السلام إلى تفاسيرِها، مثل التفسيرِ الإشاري عند أبي عبد الرحمن السُّلَمي النيسابوري (ت: ٤١٢هـ)، وعبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (ت: ٤٦٥هـ).

والتفسير الإشاري هو أحدُ أهمِّ أنماط التفسير الصوفي للقرآن، ينمازُ بالنظر الباطني في الآياتِ، والبحث عن إشارات روحيَّة، وأسرار إلهيَّة، تتجاوز ظاهر النصِّ دون أن تنفيه. وهذان الشيخان من أبرزِ أعلامِ هذا الاتِّجاه، وهما من أوائل من دوَّن هذا النوع من التفسيرِ بصورةٍ مستقلَّة.

وكذا فإنَّ تأكيد البعدِ المقاصدي للآيات، الذي بدأهُ الإمامُ جعفر الصادق عليه السلام، نجده لاحقًا عند أمثالِ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) في الموافقات، وإن كان ضمن سياقٍ مختلف. ومن هنا ظهرت في القرن الرابع الهجري تفاسير إشاريَّة مثل: التفسير الكبير لأبي

(١) الأحزاب: ٣٣.
(٢) المائدة: ٥٥.

الحسن أحمد بن عيسى الرُّوذَباري (ت: ٣٢٢هـ)، وتفسيري القشيري، والسلمي المذكورين. وهي جميعها تعكس توجّهًا روحيًّا باطنيًّا يتوافق منهجيًّا في بعض جوانبه مع تفسير أهلِ البيتِ عليهم السلام، ولاسيَّما في قراءتها الرمزيَّة لآيات التوحيدِ والمعرفة والتطهير. من ذلك قولُ القشيري: ((للقرآنِ ظاهرٌ وباطنٌ، ولكلِّ باطنٍ باطنٌ، وكلّ من فتح اللَّه عليه من معانيه فهو من فيضِ النبوَّةِ، ووراثة أهل البيت))[1].

كان هذا التوافق بين المدرسةِ الإماميَّة والمدارس الأخرى قد أسَّسَ قاعدةً جوهريَّةً تركت أثرها في العصر الحديث، بعد أن تجدَّد الاهتمامُ بتفسيرِ أهلِ البيتِ عليهم السلام بوصفه مدرسة معرفيَّة متكاملة، يمكن الإفادة منها في القراءاتِ المقاصديَّةِ كما هو عند فضل اللَّه والسبحاني. والقراءة الوجوديَّة الروحيَّة للقرآن كما هي عند محمَّد ديب شحرور أو محمَّد عابد الجابري، ولو من مداخلِ نقديَّة، والتأصيل لقراءة توحيديَّة عدليَّة تستند إلى مفاهيم القرآن كما قرأها الإمامانِ الصادقِ والباقرِ عليهما السلام.

ومنه نستنتجُ أنَّ مدرسة التفسيرِ عند أهلِ البيت عليهم السلام لم تكن مدرسة مذهبيَّة مغلقة؛ بل كانت مشروعًا إسلاميًّا معرفيًّا روحيًّا تأسيسيًّا، انطلق من مركز النبوَّة، ثمَّ توسَّع عقلًا وذوقًا في الإمامة. وكان لها أثر واضح في كلِّ اتِّجاهات الفكر الإسلامي، فكلُّ مَن تعامل مع القرآنِ بوصفهِ نصًّا حيًّا، عادلًا، متعدِّدَ الأبعاد، إنَّما يقع بشكلٍ ما في دائرة التفسير الإمامي، وإن لم يُصرِّح بذلك.

(١) الرسالة القشيرية في علم التصوف: ٢٩٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة/ الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٢- الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت: نحو ٥٦٠)، تح: محمَّد باقر الخرسان، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٣- الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الآمدي، تحقيق: د. عبد الرزاق عفيفي، بيروت: دار الصميعي، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤- الاستذكار، ابن عبد البر، تح: عبد المجيد أندو، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨.

٥- الأمالي، الشيخ الصدوق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمَّة الأطهار، محمَّد باقر المجلسي، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٧- البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد اللَّه الجويني، تح: عبد العظيم الديب، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة، ط١، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.

٨- البرهان في تفسير القرآن، السيِّد هاشم البحراني، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

٩- بصائر الدرجات الكبرى، الصفار القمِّي، تح: محمد البهبودي، مكتبة آية اللَّه المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤هـ

١٠- تاريخ الأمم والملوك، الطبري، تح: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي.

١١- تاريخ القرآن، د.عبد الصبور شاهين، دار الشروق، القاهرة، ط٥، ١٩٩٩م.

١٢- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٣- تدوين القرآن، علي أكبر الزنجاني، ترجمة: الشيخ محمَّد سعيد الطريحي، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٦م.

١٤- تفسير الصافي، الملا محمَّد محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، تح: حسين الأعلمي، مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨م.

١٥- تفسير العيَّاشي، محمَّد بن مسعود العيَّاشي، تح: السيِّد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، طهران، ١٣٨٠هـ.

١٦- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تح: مصطفى أبو سعد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩.

١٧- تفسير القمِّي، علي بن إبراهيم القمِّي، تح: طيب الموسوي الجزائري، قم، دار السرور، ١٤٠٤هـ.

١٨- التفسير والمفسرون، محمَّد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م.

١٩- التوحيد، الشيخ الصدوق، تح: السيِّد هاشم الحسيني الطهراني، نشر جماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤١٠هـ.

٢٠- جامع البيان في تأويل القرآن، محمَّد بن جرير الطبري، تح: محمَّد أبو زهرة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠.

٢١- الجامع لأحكام القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر القرطبي، تح: محمَّد أبو زهرة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧.

٢٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد اللَّه بن أحمد أبو نعيم (ت: ٤٣٠هـ)، دار السَّعادة، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢٣- الدرُّ المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م.

٢٤- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني (ت: ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٢٥- الرسالة القشيرية في علم التصوّف، عبد الكريم القشيري، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٧- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: محمَّد محيي الدين عبد الحميد. بيروت، دار الفكر، د.ت.

٢٨- سنن الترمذي، محمَّد بن عيسى الترمذي، تح: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢٩- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسَّسة الرسالة، ١٩٨٥م.

٣٠- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمَّد عبد السلام، دار الفكر، ١٩٧٦م.

٣١- الصحيفة السجاديَّة، علي بن الحسين السجاد عليه السلام، تح: السيِّد محمَّد باقر الموحد الأبطحي، قم، مؤسَّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩هـ.

٣٢- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيتمي، تح: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.

٣٣- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاووس، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت.

٣٤- العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ تطوّرهما، جولد تسيهر، ترجمة: محمَّد يوسف موسى وآخرون، دار الشروق، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٥م

٣٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمَّد بن علي بن بابويه القمِّي المعروف بالصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تح: حسين الأعلمي، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د.ت.

٣٧- الكافي، محمَّد بن يعقوب الكليني، تح: مركز الأبحاث الإسلامي، قم، مؤسَّسة آل البيت، ١٤٠٦هـ.

٣٨- الكشاف عن حقائق التنزيل، أحمد بن عمر الزمخشري، تح: محمَّد عبد السلام هارون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٥.

٣٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥م.

٤٠- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار ابن الجوزي، ١٩٩٩.

٤١- المستدرك على الصحيحين، محمَّد بن عبد اللَّه بن محمَّد الحاكم، النيسابوري (ت: ٤٠٣هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٠م.

٤٢- المستصفى في علم الأصول، الغزالي، تح: محمَّد عبد السلام عبد الشيخ، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٤٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٤٤- المصاحف، عبد اللَّه بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: آرثر جفري، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٥- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م.

٤٦- مقدِّمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تح: عبد الرحمن الفريوائي، دار الصميعي، ١٩٩٦م.

٤٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمَّد عبد العظيم الزرقاني، بيروت، دار المعرفة، ط٥، ٢٠٠١.

٤٨- المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، تح: محمَّد عبد السلام المغربي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠١.

٤٩- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسُّنة والتاريخ، محمَّد الريشهري، قم، دار الحديث، ١٤٢٢هـ

٥٠- الميزان في تفسير القرآن، محمَّد حسين الطباطبائي، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧م.

٥١- النسخ بين المفسِّرين والأصوليين، نور الدين عتر، دمشق، دار المكتبي، ط٣، ٢٠٠١م.

٥٢- نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تح: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٥٣- الهداية الكبرى، الخصيبي، تح: الدكتور محمَّد جواد مشكور، منشورات الأعلمي، بيروت، ١٩٩٩م.